الزمان ، ولهذا أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه ثم بالأشرف منهما .

وقوله تعالى : ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ هذا هو المقسم عليه ، وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوي الأعضاء حسنها ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ أي إلى النار ، قاله مجاهد وأبو العالية والحسن وابن زيد وغيرهم ، ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيرهم إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل ولهذا قال ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقال بعضهم ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ أي إلى أرذل العمر ، وروي هذا عن ابن عباس وعكرمة حتى قال عكرمة : من جمع القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ، واختار ذلك ابن جرير ، ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك لأن الهرم قد يصيب بعضهم ، وإنما المراد ماذكرناه كقوله تعالى : ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقوله ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ أي غير مقطوع كما تقدم .

ثم قال ﴿فما يكذبك﴾ أي ياابن آدم ﴿بعد بالدين﴾ أي بالجزاء في المعاد ، ولقد علمت البداءةوعرفت أن من قدر على البداءةفهو قادر على الرجعة بطريق الأولى ، فأي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا ؟ قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور قال : قلت لمجاهد ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ عنى به النبي ﷺ قال : معاذ الله ، عنى به الإنسان وهكذا قال عكرمة وغيره . وقوله تعالى : ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ اي أما هو أحكم الحاكمين الذي لايجور ولا يظلم أحداً ، ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه . وقد قدمنا في حديث أبي هريرة مرفوعاً «فاذا قرأ أحدكم والتين والزيتون فأتى على آخرها ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» آخر تفسير سورة التين والزيتون ، ولله الحمد والمنة .

سورة العلق

ترتيبها ٩٦ — آياتها ١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : أول مابدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فاجأه الوحي وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ ، قال رسول الله ﷺ «فقلت ما أنا بقارىء ـ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ ، فقلت ما أنا بقارىء ، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ ، فقلت ما أنا بقارىء ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق ـ حتى بلغ ـ مالم يعلم» قال : فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال «ياخديجة مالي؟» وأخبرها الخبر وقال «قد خشيت على نفسي» .

فقالت له : كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخي أبيها ، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت خديجة : أي ابن عم أسمع من ابن أخيك . فقال ورقة : ابن أخي ماترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ «أو مخرجي هم ؟» فقال ورقة : نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً .

ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا ، حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً ، فيسكن بذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري ، وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه في أول شرحنا للبخاري مستقصى، فمن أراده فهو هناك محرر ولله الحمد والمنة. فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات ، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم ، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الانسان من علقة ، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان مالم يعلم ، فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به أبو البشرية آدم على الملائكة ، والعلم تارة يكون في الأذهان ، وتارة يكون في اللسان ، وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي والرسمي يستلزمهما من غير عكس ، فلهذا قال ﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم * علم الإنسان مالم يعلم﴾ وفي الأثر : قيدوا العلم بالكتابة ، وفيه أيضاً : من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يكن يعلم .

كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ
ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن
لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان إذ رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله ، ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ أي إلى الله المصير والمرجع وسيحاسبك على مالك من أين جمعته وفيم صرفته. قال ابن حاتم : حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ ، حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو عميس عن عون قال : قال عبد الله : منهومان لايشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان ، فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان قال ثم قرأ عبد الله ﴿إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى﴾ وقال للآخر ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وقد روي هذا مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ «منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا» .

ثم قال تعالى : ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ نزلت في أبي جهل لعنه الله ، توعد النبي ﷺ على الصلاة عند البيت فوعظه تعالى بالتي هي أحسن أولاً فقال ﴿أرأيت إن كان على الهدى﴾ أي فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله أو أمر بالتقوى وأنت تزجره وتتوعده على صلاته ، ولهذا قال ﴿ألم يعلم بأن الله يرى ؟﴾ أي أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه ، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء . ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً ﴿كلا لئن لم ينته﴾ أي لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد ﴿لنسفعا بالناصية﴾ أي لنسمنها سواداً يوم القيامة ثم قال ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ يعني ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها ﴿فليدع ناديه﴾ أي قومه وعشيرته أي ليدعهم يستنصر بهم ﴿سندع الزبانية﴾ وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزبنا أو حزبه ؟

قال البخاري : حدثنا يحيى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ النبي ﷺ فقال «لئن فعل لأخذته الملائكة» ثم قال تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله يعني ابن عمرو عن عبد الكريم . وكذا رواه الترمذي والنسائي في تفسيرهما من طريق عبد الرزاق به . وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زكريا بن عدي عن عبيد الله بن عمرو به ، وروى أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وهذا لفظه من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فمر به أبو جهل بن هشام ، فقال يا محمد ألم أنهك عن هذا؟ وتوعده فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره ، فقال يامحمد بأي شيء تهددني ؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً فأنزل الله ﴿فليدع ناديه * سندع الزبانية﴾ وقال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا إسماعيل بن يزيد أبو يزيد ، حدثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس

قال : قال أبو جهل لئن رأيت رسول الله يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه قال : فقال : «لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لايجدون مالاً ولا أهلاً» وقال ابن جرير ايضاً : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه ، فأنزل الله عز وجل ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ حتى بلغ هذه الآية ﴿لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة، فليدع ناديه ، سندع الزبانية﴾ فجاء النبي ﷺ فصلى ، فقيل : ما يمنعك ؟ قال : قد اسود مابيني وبينه من الكتائب ، قال ابن عباس : والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر عن أبيه ، حدثنا نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم ، قال : فقال واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ، ولأعفرن وجهه في التراب ، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته ، قال : فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه ، قال فقيل له : مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه خندقاً من نار ، وهولاً وأجنحة قال : فقال رسول الله «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» قال : قال : وأنزل الله لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾ إلى آخر السورة ، وقد رواه أحمد بن حنبل ومسلم والنسائي وابن حاتم من حديث معتمر بن سليمان به .

وقوله تعالى : ﴿كلا لا تطعه﴾ يعني يا محمد لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها ، وصل حيث شئت ، ولا تباله فإن الله حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس ﴿واسجد واقترب﴾ كما ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن عمارة بن غزية ، عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء» وتقدم أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يسجد في ﴿إذا السماء انشقت﴾ و ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ آخر تفسير سورة اقرأ ، ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة .

سورة القدر

ترتيبها ٩٧ — آياتها ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

يخبر تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر ، وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ قال ابن عباس وغيره : أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ ، ثم قال تعالى معظماً لشأن ليلة القدر التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها فقال ﴿وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ .

قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية : حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا القاسم بن الفضل الحداني عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن علي بعدما بايع معاوية فقال : سودت وجوه المؤمنين ، أو يا مسود وجوه المؤمنين ، فقال : لا تؤنبني رحمك الله ، فإن النبي ﷺ أري بني أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ يا محمد ، يعني نهراً في الجنة ونزلت ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ يملكها بعدك بنو أمية يا محمد ، قال القاسم : فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص . ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل ، وهو ثقة وثقة يحيى القطان وعبد